

الدلالة عند علماء العربية، الفلاسفة المتكلمون البلاغيون

3.3

د.هادية رواق



قائمة المحتويات

5	وحدة
7	مقدمة
9	I- جهود الفلاسفة
9	أ. الفارابي، أبو النصر (370هـ / 427هـ) في قضية علاقة اللفظ بالمعنى.....
9	ب. ابن سينا (370هـ / 427هـ) قضية الإدراك.....
9	پ. أبو حامد الغزالي (450 ت 505هـ). الإدراك وأنواع الدلالة.....
9	ت. ابن رشد(520،595هـ) تمييز المعاني.....
11	II- جهود المتكلمين والبلاغيين
11	أ. الجاحظ أبو عثمان(255هـ).....
11	ب. عبد القاهر الجرجاني (وآخرون).....

وحدة

الهدف العام.

أن يصف الطالب جهود مجموعة من علماء العربية؛ من الفلاسفة وعلماء الكلام والبلاغيين.

الأهداف الخاصة.

أ/ أن يتعرّف على جهود الفلاسفة ويعرف علاقة قضاياهم بعلم الدلالة.

ب/ أن يميّز جهود البلاغيين وعلماء الكلام ويعرف إضافاتهم في مجال الدلالة.

مقدمة

وجد موضوع الدلالة صده في بيئة الفلاسفة والبلاغيين وعلماء الكلام لغرض تفسير الإشكاليات التي يطرحونها، كقضايا الغيب والوجود والحس والذات وأنا والآخر والخيال والحضور والإدراك الفردي والجمعي للظواهر، وقضايا أخرى تتعلق بالمجاز والإعجاز، والخلق والأزل، والقدم والجدة، وهي قضايا كثيرة ومصطلحاتها وفيرة متعددة الدلالة، ينبغي أن تتحدد المعاني تحديدا دقيقا، من خلال المقاصد التي تكمن وراء كل مصطلحاتهم، لتيسير سبل إدراكها.

جهود الفلاسفة

أ. الفارابي، أبو النصر (370هـ / 427هـ) في قضية علاقة اللفظ بالمعنى.

ذهب أبو النصر الفارابي إلى الحديث عن العلاقة بين الألفاظ ومعانيها، وقال أن اللغة ليست مجرد أصوات وكلمات، بل هي وسيلة للتعبير عن المعاني والأفكار الموجودة في النفس، وهناك أدوات أخرى غير الألفاظ المفردة تقوم مقامها في الدلالة، مثل الحروف والإشارات، حيث أن هذه الأدوات لا تحمل دلالة في ذاتها، بل تكتسبها من خلال السياق الذي ترد فيه.

ب. ابن سينا (370هـ / 427هـ) قضية الإدراك

أقام الشيخ الرئيس ابن سينا في كتاب الشفاء، وهو كتاب في المنطق، محاورات لغوية كثيرة نذكر منها حاجة التعليم والتعلم للألفاظ، فأتقن شرح واستخدام مصطلحات كثيرة منها: (اللفظ المفرد، المعنى المقصود، دلالة ذاتية، دلالة مقصودة، إرادة اللفظ). وذهب إلى تفصيل ذلك فقال: "ومعنى دلالة اللفظ أن يكون إذا ارتسم في الخيال مسموع اسم ارتسم في النفس معنى، فتعرف النفس أن هذا المسموع لهذا المفهوم، فكلما أوردته الحس على النفس التفتت إلى معناه." وهي عملية توصيف لعملية إدراك المعاني. (1)

ب. أبو حامد الغزالي (450 ت 505هـ). الإدراك وأنواع الدلالة

تحدث أبو حامد الغزالي في قضية الإدراك وربط الموجود في عالم الأعيان بالألفاظ والأذهان والإدراك فقال: "اعلم أن المراتب فيما نقصده أربع، واللفظ في الرتبة الثالثة: فإن للشيء وجودا في الأعيان، ثم في الأذهان، ثم في الألفاظ، ثم في الكتابة، فالكتابة دالة على اللفظ واللفظ دال على المعنى الذي في النفس؛ والذي في النفس هو مثال الموجود في الأعيان. وتحدث في كتاب معيار العلم عن النسبة التي تحصل بين الألفاظ والمعاني، من خلال توضيح وبيان وجوه دلالاتها، جعل الدلالة أنواعا دالة مطابقة "كدلالة الحائط على الحائط"، أو دلالة تضمن "كدلالة الإنسان على الحيوان"، أو دلالة التزام كدلالة "السقف على الحائط". (2)

ت. ابن رشد (520، 595هـ) تمييز المعاني

يرى الفيلسوف ابن رشد أن الدلالة في فهم النصوص الشرعية والعقلية تقوم على التمييز بين المعنى الظاهر والمعنى المجازي، مؤكداً أن التأويل ضرورة "وهو إخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية، من غير أن يخل ذلك بعادة لسان العرب في التجوز" حين يتعارض الظاهر مع مقتضيات البرهان العقلي. ويعتبر أن للعقل دورا حاسما في تأويل النصوص، لاسيما عند أهل العلم والفلسفة. عد مكونا حاسما في توجيه الدلالة، إذ إن اعتبار السياقين اللغوي والتاريخي يسهم في تقييد المعاني الممكنة للنصوص. ويحول دون تأويلها على نحو متعسف. وبهذا تصبح الدلالة عملية تشاركية بين النص

والعقل والسياق، لا تقوم على أحدها بمعزل عن الآخر. (3)



جهد المتكلمين والبلاغيين

||

تمّ جمع جهود البلاغيين مع المتكلمين بسبب تداخل علم البلاغة مع علم الكلام قضايا وأعلاماً، يسمى علم الكلام بعلم النظر والاستدلال، وهدفه هو إقامة الأدلة على صحة القواعد الإيمانية التي رسمها القرآن الكريم. أمّا البلاغة فهي علم معضود بالنحو والفلسفة والمنطق، هدفها هو تفسير ما جاء به القرآن من صور بيانية ودلائل إعجازية، عجزت العلوم اللغوية المتقدمة عن تفسيرها. ومنه فالعلماء في حاجة ماسة إلى معرفة دلالات الألفاظ ومعانيها، ليدافع بها عن مبادئها، وبرز في هذا العلم أعلام كثر منهم: ناف، ولكل واحد من هذه الخمسة صورة بائدة من صورة صاحبها وحلية مخالفة لحلية أختها. " في قضية علاقة اللفظ بالمعنى والاستعمال، يتحدّث الجاحظ عن الفرق بين اللفظ ومعناه، بحكم أنّ اللفظ ظاهر، وفروقه واضحة تظهر من السمع كما هو ظاهر في اللغات، لكن المعاني مختلفة متزايدة في حياة الناس، ولمعرفة الفرق بين اللفظ والمعنى في النفس، نسوق رأي الجاحظ باعتباره متكلماً قال الجاحظ: "المعاني القائمة في صدور العباد، المتصورة في أذهانهم، والمتخلجة في نفوسهم والمتصلة بخواطيرهم، والحادثة في فكرهم مستورة خفية، وإنّما يُحيي تلك المعاني ذكرهم لها.

آ. الجاحظ أبو عثمان (255هـ)

هو عالم موسوعي، متكلم وبلاغيّ، قال في البيان والتبيين: "أعلم أنّ حكم المعاني خلاف حكم الألفاظ، لأنّ المعاني مبسوطة إلى غير نهاية، وأسماء المعاني مقصورة معدودة، ومحصلة محدودة، وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد؛ أولها اللفظ، ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال التي تسمّى نصبة والنصبة هي الحال التي تقوم مقام تلك الأصها، وإخبارهم عنها، واستعمالهم إيّاها" فقضية علاقة الدالّ بمدلوله طرحت خلافاً كثيرة، وأثارت جدلاً علمياً واسعاً.

- ميّز الجاحظ علاقة اللفظ بالاستعمال وذكر في البيان والتبيين الكثير من الألفاظ التي استعملها الناس على غير ما وردت عليه في القرآن الكريم، أراد من خلال ذلك العناية بدقّة الاستعمال وطبيعة المستعمل الذاتية منها ميله إلى الاستخفاف وتجنب الاستئثار فقال من أمثلة ذلك: " ألا ترى أن الله تعالى لم يذكر في القرآن الجوع إلا في موضع العقاب، أو في موضع الفقر المدقع والعجز الظاهر. والناس لا يذكرون السغب و يذكرون الجوع في حال القدرة واليسامة (إطعام في يوم ذي مسغبة) البلد 14 وَتَبْلَوَكُمْ بَشِيءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (البقرة، 155) (لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِّنْ جُوعٍ) (الغاشية، 7

(الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ) قريش، 4.

وكذلك ذكر المطر؛ لأنك لا تجد القرآن يلفظ به إلا في موضع الانتقام، والعامّة وأكثر الخاصة لا يفصلون بين ذكر المطر وذكر الغيث. " فما يجري على ألسنة العامة أنّهم لا يتفقّدون ألفاظ اللغة ولا يميّزون ما هو أولى، ولا يستخدمون اللفظ المناسب في المكان المناسب، بل يلجأون إلى الأخف في الاستعمال، وبذلك يجري الخطأ على ألسنة المستعملين. (4)

ب. عبد القاهر الجرجاني (وأحرون)

أطبقت شهرته الآفاق، وإهتمّ بإظهار دور النحو في توضيح دلالة الكلام، طرق الإمام عبد القاهر قضايا كثيرة منها: المجاز والإعجاز واللفظ والمعنى، التقديم والتأخير، الذكر والحذف، الفصل والوصل، الاختصاص، وهي

قضايا مفصلة في كتابي؛ الدلائل والأسرار، وانتحى بها منحى تطبيقيا حتى صارت تطبيقاته أسسا ومبادئ يقوم عليها علم الدلالة خاصة في فرعي؛ النحو والتركيب ضمن نظرية النظم. قام الإمام بتتبع تفاصيلها الجزئية تنظيرا وتطبيقا، وأعاد دمجها مرة أخرى برؤية بلاغية موحدة، تمحو النظرة المُجزأة، حيث أفاد منها هو إفادة ذكية ووظيفتها دقيقا، يثبت تطلعه في سياق البحث اللغوي إجمالا. (5)

وعلى العموم فإنّ مجال التّأليف في الألفاظ ودلالاتها قد توزّعت علوم كثيرة، حيث أَلَفَ

1 — الأزهري كتاب "الزاهر في غرائب أَلْفاظ الإمام الشافعي"

2 — أَلَفَ التّووي كتاب "تهذيب الأسماء واللغات،

3 — أَلَفَ أحمد المقرّي الفيومي "المصباح المنير" وغيرها كثير.

وُصفت أعمال البلاغيين جملة بالتنوّع والإبداع، وجاءت اجتهاداتهم دقيقة، وقد غلب على أعمالهم الطابع الموسوعي، الذي تزدحم فيه الأفكار والرؤى وتنوّع النظريات.

